الأمثال والحكم

مقدمة

يعد النثر أسبق في الوجود من الشعر، وذلك "لقرب تناوله، وعدم تقيده، وضرورة استعماله، وهو نوعان: مسجّع إن التزم في كل فقرتين أو أكثر قافية، ومرسل إن كان غير ذلك"(1)

عرّف النثر في المعاجم العربية القديمة بقولهم: نثر الشيء نثرا ونثارا، مثل نثر الحَب نثرا أي رمى به متفرقا، ونثر الكلام أي قاله على إطلاقه أو كتبه متفرقا. والنثر عامة هو الكلام الذي لم ينظم في أوزان أو يقيد بالقوافي. ويكون على ضربين: كلام عادي يتمثل في اللغة العادية التي تهدف للتواصل، وهذه اللغة لا علاقة لها بالتعبير الأدبي، لأنها لغة استهلاكية فقدت قدرتها على الإدهاش، أما لغة الأدب فهي لغة خاصة مليئة بالشحنة العاطفية وقادرة على إدهاش الملتقي وخلق قيم جمالية جديدة وهي لغة إبداعية لا ينتهي سحرها.

وأما عن النثر الجاهلي فلم يصلنا الكثير منه، لأن العرب كانوا يعتمدون على المشافهة في نقل أدبهم أي على الحفظ لا الكتابة، والشعر أسهل للحفظ من النثر.غير أنه توسع وانتشر في العصور الإسلامية اللاحقة وعمد إلى الصنعة، لكن في اقتصاد وإيجاز.كما ظهر النثر الفني الذي صيغ في عرض جميل جذاب وبأسلوب فصيح.امتاز النثر القديم في مجمله بقوة اللفظ وسطحية المعنى، كما أنه كان وليد الطبع يكثر فيه السجع والموسيقى.

المثل:

تعاريف متفرقة للمثل

عرف المثل بأنه شبه الشيء ومثله، يقول "أبو هلال العسكري" في كتابه "جمهرة الأمثال" عن المثل: "وضرب المثل جعله يسير في البلاد ، من قولك ضرب في الأرض إذا سار فيها"(2)

والأمثال هي جمل " موجزة غنية الدلالات، تلخص خبرات حياتية، غالبا ما تأتي محملة بطاقات إيحائية وتعبيرية مكثفة، لا تحتاج إلى الأفعال الخارقة أو الأحداث المحفوفة بالمبالغات"(3) لماذا تقترن لفظه ضرب مع المثل؟ " وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون" (سورة الحشر، الآية 21). " ولقد ضربنا للناس من كلّ مَثل لعلهم يتذكرون" (سورة الزمر، الآية 27). إن "مفهوم الضرب" من باب "الضرب في الأرض" و"قطع

المسير"، وضربُ المثل تعني جعله سائرا، كقولنا "ضرب الرجل في الأرض" إذا خرج طلبا للرزق" فإذا كان الضرب بمعنى "قطع الأرض وطيّها" فإن "ضربَ المثل" جعله سائرا بين الأقوام والشعوب، يقول عز وجل "وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تَقْصُروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا" (سورة النساء، الآية101) ضربتهم هنا بمعنى "سرتم". ويضيف ابن المقفع عن مزية المثل في قوله: "إذا جعل الكلام مثلا كان أوضح للمنطق، وآنف للسمع، وأوسع لشعب الحديث" (4)

أحكام المثل:

1. يجوز فيه ما لا يجوز في غيره من الكلام المنثور كخروجه في بعض الأحيان عن القواعد النحوية والصرفية.

2. زيادة حرف في الكلمة لمتابعة الآخر.

3. تغيير حركة بعض الحروف، كتحريك الساكن. (وترد هذه الجوازات جميعها لتحقيق الإيقاع الموسيقي في المثل).

4. يحافظ المثل على أصله الأول فيُذكر دون تغيير في لفظه كقولهم "الصيفَ ضيعتِ اللبن" لا يتغير هذا المثل حتى وإن ضُرب للمذكر. وقصته أن امرأة كانت متزوجة برجل غني ابن عمها ، يقال له "عمرو بن عُدس" له من المال والإبل ما لم يكن لغيره في زمانه، فكانت كثيرة اللوم والشجار معه، فطلقها وتزوجت فقيرا. وذات مرة أصابهم جذب وقحط. ومرت إبل عمرو كأنها النجوم لكثرتها. فطلبت من خادمتها أن تذهب لعمرو وتطلب منه أن يسقيهم اللبن، فأعطاها ناقتين حلوبتين وقال لها "الصيف ضيعت اللبن" (وكان قد طلقها في الصيف). يضرب هذا المثل لمن يطلب شيئا فوته على نفسه . أول من قاله هو "عمرو بن عدس"

الفرق بين المثل والحكمة

ليس من السهل التفرقة بين المثل والحكمة، فمنهم من عدّهما واحدا، وبأنها حكمة العرب في الجاهلية تمتاز بإيجاز اللفظ وإصابة المعنى.ويتجلى الفرق بين المثل والحكمة في ثلاثة عناصر نذكرها بإيجاز:

1- **التداول والانتشار**: يعد المثل أكثر انتشارا من الحكمة لأنه الأنسب لمستوى الناس العقلي والاجتماعي، أما الحكمة فمحدودة الانتشار لأنها ناتجة عن ذوي الخبرة في الحياة والعلم.

2-**المضمون:** المثل هو صوت الشعب الذي يصدر عن جميع طبقاته، قد يرد تائه المعنى بذيء العبارة خاصة إذا تعلق الأمر بالهجاء، أما الحكمة فتصدر عن رجل حكيم ذي فكر نيّر كالمفكرين وأمثالهم، وتكون بليغة ومعناها بعيد المغزى.

3- **الاستعمال:** يكاد يكون مجال استعمال المثل والحكمة واحدا، غير أن الحكمة غالبا ما يكون لها هدف تربوي خاصة حين تكون موجهة للوعظ والإرشاد، بينما يشاركها المثل مجالها ولكنه يفوقها بتشعب استعمالاته.

أسئلة تقييمية حول الوحدة:

1. عرف المثل.
2. ما هي أحكام المثل؟
3. ما الفرق بين المثل والحكمة؟

الأجوبة:

1. المثل قول موجز وقع في زمن ما ثم صار متداولا، ويضرب في الحدث المشابه له، الهدف منه تقديم الحجج.
2. يجوز فيه ما لا يجوز في غيره،يحافظ على أصله الأول الذي قيل فيه،يمكن زيادة حرف لاستقامة الوزن.
3. الفرق بين المثل والحكمة هو أن المثل يصدر عن عامة الناس بينما الحكمة تصدر من الخاصة، المثل أكثر تداولا .

خاتمة

يظل المثل سائرا بين الناس ومتداولا حتى وإن جهل مورده، ونظل بحاجة إلى استعماله في أحاديثنا اليومية نستشهد به في مواقف مشابهة بغرض إقناع المستمع وتعزيز فكرتنا ورؤانا.

المغزى من توظيف المثل والحكمة هو توكيد الكلام وتعزيزه بهدف إقناع المتلقي وأيضا لإضفاء نوع من الفكاهة لاسيما إذا كان في المثل ما يحتوي على السخرية.

هوامش:

1- تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، دار نهضة مصر للنشر والتوزيع، القاهرة، 1981، ص: 18.

2- جمهرة الأمثال، ضبطه الدكتور أحمد عبد السلام، الجزء الأول، دار الكتاب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى 1988.ص:11.

3- الأمثال والحكم وتمظهراتهما في الرواية العربية، مجلة الميدان للدراسات الرياضية والاجتماعية والإنسانية، د. سماح بن خروف، د.عبد الله بن صفية، جامعة برج بوعريريج، المجلد 3، العدد 10، مارس 2020.ص: 85.

4. مجمع الأمثال للميداني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية صيدا، بيروت 1988، الجزء الأول، ص:65.